استهلال

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ....

أخى المسلم!!

هل تشعر بارتفاعٍ شديدٍ فى ضغط دمك؟

هل تشعرُ باختناقِ الصوتِ فى حلقك؟

هل تشعرُ باضطرابٍ نفسى وعصبى يكادُ يؤدى بك إلى الاكتئاب أو يقربك من حافة الجنون؟

هل تشعرُ بآلامٍ مبرحةٍ فى كل جزء من أجزاء جسدك؟

هل تشعرُ بفقدانِ اتزانك؟

هل تشعر بفقدان شهيتك للطعام ولكل شىء شهى؟

هل تشعر بعزوف عن كل من حولك وما حولك؟

هل تشعرُ بعدم التركيز أو عدم الاستطاعة على مواجهة المواقف المصيرية؟

هل تشعر برياحِ اليأسِ التى تكاد تقتلع جذورك من منابتها؟

إن كنت تشعر أخى المسلم بأىٍ من هذه الأعراض أو ببعضها أو بها مجتمعةً فلا تقلق وتعال معى كى أدلك على مفتاح الشفاء الذى يفتح لك أبواب الدواء من كل داء فبين سطور صفحات هذا الكتاب ستجد الوصفة السحرية التى تعالجك بإذن الله من كل داء وتحقق لك بإذنه تعالى الشفاء، فتعال معى لنزين أنفسنا بأخلاق الإسلام فإن فيها الشفاء من كل داء، واصبر قليلاً فبالصبر تملك ما تشاء وبالصبر تتفتح لك أبواب السماء.

أيها القارئ العزيز: هذا كتابٌ فى أخلاق الإسلام التى هى بمثابة الدرع الواقى للمؤمن لكى يقى به نفسه مما قد يعتريه من أمراض وأسقام وأوجاع وآلام أضعه بين يديك بغية أن نعود إليه كلما شدنا الحنينُ إلى الاهتداء إلى ما يشفى الصدور والقلوب والنفوس وكلما شدنا الحنين إلى التحلى بتلك الأخلاق الوسيمة الكريمة.. أخلاق الإسلام.. أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان خلقه القرآن.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا للتحلى بأخلاق الإسلام تلك الأخلاق الكريمة والنبيلة التى يجب علينا جميعًا أن نتحلى بها وأن نزيِّن نفوسنا وصدورنا وقلوبنا وسلوكنا بها ،،،،،،،،،،

مقدمة

أخلاق الإسلام ذلك الكنز النفيس الحاوى لكل ما هو غالٍ ونفيس، مَنْ تحلَّى بها غنم، ومن عاش بها سلم، وهى مشكاة من النور ومن السعادة والسرور، مَنْ زيَّن بها نفسه تحلَّى فبان النورُ عليه وتجلَّى، وهى النبع الذى لا ينضب ماؤه ولا يتوقف عطاؤه، إنهاأخلاق الرسول وهى الحبل الموصول، مَنْ تعلق بها نجا وبلغ المنى ومَنْ تمسك بها نال خير الجَنَى.

أخى المسلم.. انطلاقًا من إدراك واعٍ لحقيقة أن الأزمة التى نعيشها اليوم ويعيشها العالم أجمع ليست بحال من الأحوال أزمة مادية أو أزمة اقتصادية بقدر ما هى أزمة أخلاق فلقد رأيت أن أعد هذا الكتاب على أساس فكرة البرنامج الإذاعى الذى كنت أعده وأقدمه عبر موجات إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة وكان يحمل نفس عنوان هذا الكتاب (من أخلاق الإسلام) فى الفترة من ١٩٩٧/٢/١٢م وحتى تاريخ إعارتى للعمل فى المملكة العربية السعو ية فى ٢٠٠٣/١٠/٢١م وهى مدة تزيد قليلاً عن الست سنوات وثمانية أشهر أى ما يزيد عن ثمانين شهراً من عمر الإنسان قدمت خلالها ما يزيد قليلاً عن تسعمائة وستين حلقة من حلقات هذا البرنامج الثرى مع علماء أفاضل من المتخصصين فى الأخلاق الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف وكانت الحلقات جميعها تدور حول هذا الموضوع المهم موضوع (أخلاق الإسلام).

نعم الأخلاق ضرورة والتحلى بها أكثر أهمية فى حياة المسلم فبالتحلى بالأخلاق القويمة يسعد الإنسان فى دنياه مع البشر وفى آخرته عند مليك مقتدر هذا بالنسبة للفرد فأما إذا تحلت المجتمعات بدورها بتلك الأخلاق القويمة فحرى بتلك المجتمعات أن تكون مجتمعات فاضلة تسعد بأبنائها ويسعد بها أبناؤها، ولقد كان مثلنا الأعلى وقدوتنا ونور أعيننا نبى الله ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ الأسوة الحسنة فى التحلى بالأخلاق القويمة فهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه فلقد قال ﷺ: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» وقد قال عنه رب العزة جلَّ وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كما قال عنه الحق تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] وكما قال عنه رب العزة جلَّ وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، حقًا وصدقًا لو كان ﷺ فظًا غليظ القلب لانفض الناس من حوله، وحينما سُئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول عليه الصلاة والسلام قالت رضوان الله عليها: لقد كان خلقه القرآن. نعم لقد كان الرسول ﷺ قرآنًا يمشى على الأرض، نعم تعيش الأمم الراقية بالأخلاق وتنهض الدول والأفراد بالأخلاق الكريمة ورحم الله من قال:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ ... فإن همو ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

لا يفوتنى فى هذا المقام أن أشيد بالأساتذة الكرام الذين شاركونى فى إعداد وتقديم ذلك البرنامج كل واحد منهم على حدة وأن أقدم لهم واجب الشكر انطلاقًا من مبدأ الشكر الذى علمنا إياه رب العزة فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن منطلق ما علمنا إياه رسول الله ﷺ حينما قال: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، فلقد وافقوا على فكرة تحويل بعض حواراتى الإذاعية معهم إلى مادة مقروءة ضمنتها فى كتابى هذا عن الأخلاق. من تلك الكوكبة من فرسان الكلمة أذكر وبخاصة من وافق منهم على نشر حواراتى معهم **الشيخ منصور الرفاعى عبيد** وكيل وزارة الأوقاف الأسبق وورثة فضيلة المغفور له بإذن الله **الأستاذ الدكتور محمود بسيونى فوده** أستاذ ورئيس قسم التفسير السابق بجامعة الأزهر وفضيلة **الأستاذ الدكتور المحمدى عبد الرحمن عبد الله** أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، **وفضيلة الأستاذ الدكتور زكى محمد عثمان** أستاذ ورئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر وفضيلة **الأستاذ الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى** الأستاذ بجامعة الأزهر بارك الله لهم جميعًا ونفع بعلمهم وكتبه فى ميزان حسناتهم.

أيها القارئ العزيز اسمح لى أن أتوقف قليلاً أمام اثنين من هؤلاء الفرسان الخمسة بكلمات قليلة وفاءً لهما وإجلالاً لقدرهما، وأول هذين الفارسين هو **الأستاذ الدكتور زكى محمد عثمان** الذى يشغل حاليًا منصب رئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر. هذا الرجل كان قد أصيب بمرض شلل الأطفال فى ساقيه الاثنتين فى طفولته المبكرة فأصيب بذلك المرض المقعد اللعين فلم يستمتع بطفولته كبقية أطفال جيرته ولم يلعب الكرة كما لم يلعب مثل قرنائه تلك الألعاب والأنشطة ا باضية التى سعدنا بها جميعًا ونحن صغار كالاستغماية والسباحة وركوب الدراجات واختراق الضاحية ونحوها، فظل قعيد المحبس؛ محبس الأسر الاختيارى الإجبارى فى نفس الوقت لأسرة فقيرة لا تستطيع أن توفر له وسيلة من وسائل التنقل التى كانت الأسر القادرة توفرها لأبنائها المقعدين، وليت الأمر قد توقف عند هذا الحد فما خفى كان أعظم لطفل لم يتعد بعد عامه الثالث فلقد أصيب ذلك الطفل وقبل أن يبلغ الثالثة من عمره بمرض أشد إيلامًا وأكثر تعجيزاً وقهراً وإقعاداً من سابقه ألا وهو مرض كف البصر فى عينيه الاثنتين، فأصبح الطفل ذو السنوات الثلاث رهين المحبسين محبس العمى ومحبس القعود الحركى، ولقد كان ذلك بلاءً من ربك عظيمًا سواء للطفل أو لوالديه، أما الوالدان فقد صبرا على الابتلاء صبر ا ين المحتسبين وأما الطفل الذى بارك الله حوله وأمده بمدد خاص من عنده فقد كان أكثر صبراً وأكثر إيمانًا على ما ابتلاه به ربه كما كان أكثر تصميمًا وأكثر عزمًا على قهر هاتين الإعاقتين التى كانت تكفى إحداهما لقهر أكثر الرجال قوة وشدة، فكان ذلك الطفل المعجزة بعون من الله وبمساعدة فريدة من أم رؤوم ليست كغيرها من الأمهات اليائسات المستسلمات، كان أن جعل القرآن الكريم رفيقًا له فحفظ القرآن فحفظه القرآن وهو دون السادسة وكان دائمًا يردد أن القرآن أهلٌ لمن لا أهل له، فجعل القرآن كل أهله كما جعله عينيه اللتين يرى بهما فصار يرى ما لا يرى المبصرون، كما جعل القرآن قدميه اللتين يمشى بهما فصار يذهب إلى أماكن لا يستطيع أن يصل إليها الأصحاء من مخترقى الضواحى، كما أبدى ذلك الطفل المعجزة شغفًا شديداً بدراسة تفسير القرآن وعلومه إضافة إلى العلوم الفقهية وعلوم

السيرة والسنَّة واللغة العربية نحواً وصرفًا وأدبًا واللغة الإنجليزية التى أجاد التحدث بها، فتدرج فى دراساته بالمعاهد الأزهرية إلى أن حصل على شهادة الثانوية الأزهرية بتفوق ثم التحق بجامعة الأزهر وكان يزحف على راحتيه وركبتيه من وإلى الجامعة وكان سائقو الأوتوبيسات يعرفونه من بُعدٍ فكانوا يقفون له أينما رأوه تحية وتقديراً؛ فهو الشاب المكافح الذى لم يجلس بجوار مسجد من المساجد ليتسول وقد كان مؤهلاً لتلك الحرفة بل حفر الصخر بأظافره حتى يحقق لنفسه مكانًا ومكانة تحت الشمس فكانوا يساعدونه فى الصعود إلى الأتوبيسات أو الهبوط منها كلما رأوه لأنه كان لا يملك أن يستأجر مرافقًا لمرافقته من وإلى الجامعة.

وبتوفيق من الله حصل وبتفوق على ليسانس أصول الدين شعبة الدعوة عام ١٩٧٩ ثم ليسانس شعبة التفسير عام ١٩٨٣ إلا أن طموحه كان أكبر بكثير من درجة الليسانس فسجل للدراسات العليا وواصل الليل بالنهار فحصل على درجة الماجستير فى الاقتصاد الإسلامى بدرجة جيد جداً ثم سجل لنيل الدكتوراه فى الدعوة الإسلامية فى القرن السادس الهجرى وحصل عليها أيضًا بمرتبة الشرف الأولى ثم عُين مدرسًا بجامعة الأزهر فأستاذاً مساعداً فأستاذاً فرئيسًا لقسم الثقافة الإسلامية بكليته حاليًا، ويشرف على عدد هائل من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال تخصصه. وله باع طويل فى مجال الدعوة الإسلامية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وكان مشوار حياته مشرفًا ناصعًا ومضيئًا لرجل كافح كفاح الأبطال ليقول لنا نحن الأصحاء: إن الصحة صحة العقل وصحة الإرادة وصحة العزيمة وصحة الصدق مع الله ومع النفس ومع الناس قبل أن تكون صحة للبدن، لقد تشدق الغرب كثيراً بطفلته المعجزة هيلين كيلر Helen Keller الأمريكية (١٨٨٠ - ١٩٦٨) التى وُلدت فى ألاباما بأمريكا وعندما بلغ عمرها تسعة عشر شهراً أصيبت بمرض حاد نتج عنه أن أصبحت تلك الطفلة صماء عمياء بكماء فأحيطت تلك الطفلة برعاية الأمة الأمريكية بأكملها وسُخرت لها ملايين الدولارات لتصبح هيلين كيلز معجزة القرن العشرين على حد قولهم إلا أن شيخنا هذا ليستحق وبجدارة أن يساوى أربعين أو خمسين أو مائتى هيلين كيلر مجتمعة، فهذا الشيخ زحف على راحتيه وركبتيه فوق لهيب الأسفلت وتسلق الأتوبيسات وعانى فى

زحامها فى وقت كانت هيلين كيلر تلك تُحاط بعشرات المتخصصين فى كافة العلوم والآداب والفنون لتأهيلها وتعليمها، كما كان يُنفق عليها من حساب بنكى مفتوح فى وقت كان شيخنا لا يجد ثمن الكتاب الجامعى فكان يستعيره من أحد زملائه ثم يعيده إليه بعد أن يقرأه فيحفظه فى ذاكرته الفولاذية، لقد قهر هذا الشيخ إعاقتيه ولم تقهراه، ذلك ليثبت للأصحاء قبل المعوَّقين أن الملاذ بالله وأن الملاذ بكتاب الله وأن قوة الإرادة وأن قوة العزيمة لأولى أن نلجأ إليها جميعًا لنستمد منها قوة فوق قوة وسنداً فوق سند، ولقد استحق هذا الشيخ وسامًا رفيعًا بل أوسمة على صدره وآن له أن يدرس الشباب حياته لتكون لهم نبراسًا ومثلاً يُقتدى، وإنى لأفخر كونى صديقًا لتلك الشخصية الخارقة.

أما الفارس الثانى فهو المغفور له بإذن الله **الأستاذ الدكتور محمود بسيونى فوده**، هذا الرجل يرحمه الله كان يحب عمله لدرجة العشق فكان كلما دعوته للتسجيل للبرنامج يبدى فرحة خاصة وكان يدع جانبًا كل مشاغله الأخرى ويتفرغ للحلقات التى سنقوم معًا بتسجيلها وكان موعد التسجيل عادة صباح يوم الجمعة، فإذا ما انتهينا من تسجيل البرنامج صعدنا معًا إلى الطابق الثامن فصلينا الجمعة فى مسجد التليفزيون ثم يسير كل منا فى طريق. إننى لا أنسى ذلك اليوم من شهر يولية سنة ٢٠٠٣ وبالتحديد يوم ٢٠٠٣/٧/٢٥ وكان يوم جمعة حيث كان من المفروض أن يبدأ تسجيل البرنامج الساعة العاشرة والنصف صباحًا، وحان موعد التسجيل ولم يأت الرجل ومرت الدقائق العشر الأولى والثانية والثالثة والرابعة ولم يأت الرجل ومرت ساعة كاملة ولم يأت، وكان يرحمه الله لا يتأخر دقيقة واحدة عن موعد التسجيل، فعجبت من الأمر وبدأت أشعر بانقباض وخوف فى قلبى وبدأت أشعر بالخوف والقلق لأن نظر الرجل كان ضعيفًا للغاية فخفت أن يكون أصابه مكروه وهو فى طريقه إلى مبنى الإذاعة فاتصلت ببيته لأستبين الأمر ففزع أهل بيته عندما علموا أنه لم يصل إلى مبنى الإذاعة فى موعده مع أنه غادر فى موعده، وقالوا إنه بعد صلاة الفجر كان قد أخذ يعد الحلقات التى سيقدمها فى البرنامج كعادته ثم إنه كان يراجع الحلقات وينقحها ويعيد قراءتها أكثر من مرة إلى أن يحين موعد توجهه إلى مبنى الإذاعة للتسجيل، وقد أكدوا لى أنه كان فى ذلك اليوم قد اتبع نفس

النظام الذى كان يتبعه من قبل ثم أنهوا المكالمة الهاتفية بأن قالوا إنهم سوف يستبينون الأمر، وكانت المفاجأة التى زلزلت كيانى وكيان جميع أصدقائه ومحبيه ومريديه فلقد كان له أصدقاء كثيرون ومحبون ومريدون أكثر، كانت المفاجأة أن وجد أفراد العائلة الرجل جالسًا على إحدى درجات سلم بيته وهو مبتسم وكأنه كان راضيًا مرضيًا بقدره وقد أسلم روحه لبارئها بعد أن صلى فجر ذلك اليوم ووضع فى جيبه نصوص حلقات برنامج من أخلاق الإسلام وكان شبه حافظ للمادة التى كان سيسجلها معى لذلك البرنامج، غفر الله للفقيد العزيز الأستاذ الدكتور محمود بسيونى فوده العالم العامل الذى كان بحق يعمل بما يعلم وألهم آله ومحبيه وتلاميذه الصبر والسلوان.

أيها القارئ العزيز هذا كتاب فى أخلاق الإسلام أضعه بين يديك بغية أن نعود إليه كلما شدنا الحنين إلى التحلى بتلك الأخلاق.. أخلاق الإسلام.. أخلاق رسول الله ﷺ الذى كان خلقه القرآن.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا للتحلى بأخلاق الإسلام تلك الأخلاق الكريمة والنبيلة التى يجب علينا جميعًا أن نتحلى بها وأن نزيّن بها أنفسنا .....

دكتور رمضان الحلاوى

الرياض: شهر رمضان المبارك ١٤٢٦هـ الموافق لشهر أكتوبر ٢٠٠٥م